معايير السلوك لقيمة الكرم في مشاهد الضيافة العربية/

دراسة في الشعر الجاهلي

أ.م.د نجاح مهدي علـــوان

جامعة البصرة / كليـــة الآداب

لقد تفنّن الشعراء الجاهليون في تصوير قيمة الكرم والضيافة العربية ، في مشاهد شعرية تنمّ عمّا يتمتعون به من قدرات فنية متميّزة ، وهم يتعقبون الانسان الجاهلـــي (الضيـــف) ، ويترصدون خطواته خطوةً خطوةً في رحلته الطويـلة في عمق الصـحراء ، وما ينتابـــه من معاناة على المستوى الجسدي ، تتمثّل في تعبه وإعيائه ، بسبب ما يتعرض له من ظـــروف جوية قاسية ، من برد شديد ، ورياح عاتية ، وأمطار غزيرة ، وظلام دامس ، وما ينتابه مـن معاناة على المستوى النفسي ، تتمثّل في قلقه وحيرته ، حتى وصوله الى مبتغاه (المضـيف) ، كما تفنّنوا في الجانب الآخر وهو الجانب الذي يصورون فيه ما يقوم به (المضيف) مـــن خطوات وسلوكيات الضيافة استعدادا وتهيؤاً للقادم من الأضياف ، في هذا البحث تابعـــت هذه الخطوات رصداً وتحليلاً للنصوص الشعرية ، سواء ما يتعلق منها بالضـــيف ، أم مـــا يتعلق منها بالمضيف ، أم ما يتعلق منها ببقية العناصر الأخرى التي تضمّنتهـــا مشاهـــد الضيافـــة العربيـــة ، وما تنطوي عليه من معايير للسلوك المحمود ، الذي تقبله الجماعـــة وينطبق على قيمها وأعرافها الاجتماعية في الضيافة العربية ، هذا وقد تناول البحث المحاور الآتية :

المحور الأول : تناولت فيه مصطلح معايير السلوك ، وقد بيّنت دلالته في اللغة والاصطلاح ، وحددّت دلالته في رؤية البحث ، وأوضحت صلته الوثيقة بالقيم وبالرموز .

المحور الثاني : سلّطت الضوء فيه على قيمة الكرم وأهميتها في حياة الانسان الجاهلي .

المحور الثالث : تناولت فيه المشهد الأول من مشاهد الضيافة العربية ، وهو مشهد استجلاب الأضياف ، إذ استخلصت منه ثلاثة معايير وهي : معيار اختيار محل الإقامة ، ومعيار إيقاد نار الضيافة ، ومعيار نبح كلاب الضيافة .

المحور الرابع : بحثت في هذا المحور معايير السلوك في مشهد قدوم الضيف وطريقته في التماس الضيافة ، وفيه مشهدان ، إذ استخلصت معايير السلوك في المشهد الأول وهو مشهد الضيف ، ومعايير السلوك في المشهد الثاني وهو مشهد كلب الضيافة .

المحور الخامس : تناولت فيه معايير السلوك في مشهد استقبال الضيف .

المحور السادس : وفيه تناولت معايير السلوك في مشهد استراحة الضيف في بيت المضيف ، واستقراره والتقاط أنفاسه من رحلة المعاناة في الصحراء .

المحور السابع : تناولت في هذا المحور معايير السلوك في مشهد النحر .

المحور الثامن : تناولت في هذا المحور معايير السلوك في مشهد مبيت الضيف ، هذا وأبدأ الحديث بالمحور الأول ، ويأتي الحديث عن بقية المحاور تباعاً .

أولا : التعريف بمصطلح (معايير السلوك) لغة واصطلاحاً :

من الواضح أنّ مصطلح معايير السلوك يتكوّن من شقّين ، الأول (معايير) والثاني (السلوك) ، وكلاهما يمثّل مصطلحاً قائما بذاته ، لذا يتحتّم التعريف بكلٍّ منهما لغة واصطلاحاً :

أ – **المعيار لغة واصطلاحاً** : جاء في لسان العرب : (وعيّر الدينار : وازن به آخر... وعيّرت الدنانير: وهو أن تلقي ديناراً ديناراً فتُوازن به ديناراً ديناراً)(١) ، واضح أنّ المقصود من موازنة دينار بدينار ، هو اتّخاذ الدينار الأول مقياساً أو نموذجاً يقايس به الدينار الآخر ، وما يؤيد هذا المعنى ما جاء في أساس البلاغة : (وعاير المكاييل والموازين : قايسها)(٢) بمعنى أنّه اتّخذ بعضها مقياساً يقايس به بعضها الآخر ، إذن نستنتج من ذلك أنّ المعيار في اللغة يعني المقياس أو النموذج الذي تقاس به الأشياء ويحكم عليها .

أمّا دلالته الاصطلاحية فهي تقترب من دلالته اللغوية ، بالرغم من اشتغاله في حقول معرفية متعددة ، فهو في حقل علم المنطق ، نموذج مشخّص ، أو مقياس مجرد ، لما ينبغي أن يكون عليه الشيء ، وهو في حقل علم الأخلاق ، النموذج المثالي الذي تقاس به معاني الخير، وهو في حقل علم الجمال ، مقياس الحكم على الانتاج الفني ، وهو في حقل نظرية القيم ، مقياس الحكم على قيم الأشياء ، ويرادف هذا المصطلح (العيار) ، وهو ما جعل قياساً ونظاماً للشيء ، و(القاعدة) ، وهي القضية الكلية المنطبقة على جميع جزئياتها ، أو النموذج المثالي الذي تنسب اليه أحكام القيم(٣) .

ب – السلوك لغة واصطلاحاً : جاء في المعجم اللغوي العربي : (سلوك) مصدر سَلَكَ ، وسلك الطريق والمكان يسلكه سلْكاً وسلوكا وسلكه غيره وأسلكه فيه وعليه بمعنى أدخله فيه ، ويؤيد هذا المعنى قول عبد مناف بن ربع الهذلي(٤) : (من البسيط)

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة شلّاً ، كما تطرد الجمّالة الشُّردا

وقول ساعدة بن عجلان (٥) : (من الوافر)

وهم منعوا الطريق وأسلكوهم على شمّاء ، مسلكها بعيد

وسلك الشيء في الشيء فانسلك بمعنى أدخله فيه (٦) ، والشاهد فيه قول زهير بن أبي سلمى (٧) : (من البسيط)

تعلّمنْ ها ، لعمر الله ذا قسماً واقصد بذرعك ، وانظر أين تنسلكُ

ويعقب أبو بكر الرازي على ما جاء في الصحاح للجوهري من ذكره للمعنى المتقدم بقوله : (ولم يذكر في الأصل (سلك) الطريق إذا ذهب فيه وبابه دخل وأظنّه سها عن ذكره لأنه ممّا لا يترك قصدا)(٨) . ومن الجدير ذكره في هذا السياق ، أنّ ما عدّه الرازي أصلاً ، عدّه الزمخشري مجازاً ، إذ يقول : (ومن المجاز : ذهب في مسلك خفيّ ، وخذ في مسالك الحق . وهذا كلام دقيق السلك : خفيّ المسلك .)(٩)

أمّا في الاصطلاح ، فيبدو أنّ مصطلح (السلوك) وظّف في ميادين معرفية متعددة ، فهو في الميدان الفلسفي (السيرة ، والمذهب ، والاتجاه ، تقول : فلان حسن السلوك ، أو سيّء السلوك .)(١٠) ، كما وظّف في ميدان علم النفس في أوسع معانيه ، فهو يتضمّن كل نشاط يقوم به الكائن الحي ، سواء كان إنساناً أم حيواناً ، وكذلك كل حركة تصدر عن الأشياء ، فبحث الحيوان عن الطعام نوع من السلوك وانشغال الطفل في اللعب

نـوع آخـــر من السلوك (١١) ، فالنسبة للمجال الانساني – وهو ما يعنينا في هذا البحـــث بقدر كبيـــر – هو نشاط الانسان في تفاعله مع بيئته تعديلاً لها حتى تصبح أكثر ملاءمـــة له ، أو تكيّفاً ذاتياً معها حتى يحقق لنفسه أكبر قدر من التوافق معها ... وهو يتضمّن مـــا هو ظاهر يمكن للآخر إدراكه كتناول الطعام والشراب والمشي والجري وما الى ذلك مـــــن النشاطات المختلفـــة التي يقوم بها الانسان ، كما يتضمّن أيضاً النشاط غير المدرك إلّا مـن صاحبه مثل التفكيـــر والتخيّل والتذكّر والأوهام والمخاوف والآمال والآلام والحزن والســـرور والغضب والنفور ومـــا الى ذلك من انفعالات قد لا تصاحبها مظاهر يكشفها الآخـــــرون ويدركونها . (١٢) ووظّـــف أيضاً في ميدان علم الاجتماع فهو يعني (كل ما يقـــوم بـــه الانسان من أعمال ونشاط ، تكـون صادرة عن بواعث أو دوافع داخلية ، وهكذا يشـــــمل السلوك ناحية موضوعية خارجية وأخـــرى باطنية ذاتية . (١٣) أمّا في الميدان الثقافي فهـو يعني أسلوب التصرف . (١٤) وأخيـــــراً السلوك يعني في رؤية المتصوفة (السعيّ الـــذي يقوم به السالك في سيره في طريق الله حتـــى يصل الى مقصوده .(١٥)

وبعد هذه الإحاطة بالمصطلح لغة واصطلاحاً ، واستكمالاً للسياق ، علينا أن نحدد دلالة المصطلح في رؤية البحث ، فإنّ ما نعنيه بمعايير السلوك هو نماذج السلوك التـــي يصنف في ضوئها السلوك وعلـــى أساسها يحكم عليه ، والمعني بالسلوك ، السلوك الذي تقبلـــــــه الجماعـــــة وترتضيـــــه ويكون منطبقا على قيمهـــا ومثلهـــا العليا . (١٦) وواضـــــــح مـــــن التعريف أنّ هناك صلـــــة وثيقة بين معايير السلوك والقيـــم ، وثمّـــة صلة كذلك بين معايير السلوك وبين الرمـــــوز التي تمثّل تجليات هذه المعاييـــر فـــــــي النصوص الشعريـــــة ، ولتوضيـــــح هذه الصلة وبيـــــان وجه التمييـــــز بين معايير السلوك والقيم والرموز التي تتجلى فيها تلك المعايير نسوق المثالين الشعريين الآتيين :

يقول طرفة بن العبد(١٧) : (من الرمل)

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

الدعوة الجفلى هي الدعوة العامة ، والآدب هو الشخص الذي يدعو للطعام ، وينتقر بمعنى ينتقي ويختار ، والإطار الزمني الذي تنطوي عليه هذه الدعوة هو الشتاء الذي يقل فيه الزاد وتهلك الإبل ، وتشتدّ الحاجة فإذا ما ملك البخيل شيئا من الطعام ، حافظ عليه وادّخره ليستهلكه منفردا ، وإذا ما توافر للكريم شيئا منه ، بذله للجماعة ، المحتاج منها وغير المحتاج على السواء ، فإطعام الناس في الشتاء بدعوة عامة لا تستثني أحدا ، وإنما تشمل شرائح المجتمع كافة ، الغنيّ والفقير ، السيّد والعبد ، المحتاج وغير المحتاج ، دعوة لا يعتريها الانتقاء والتخصيص ، هو سلوك معياري يرضي الجماعة ويكون موضع تقديرها واحترامها ، ومن ثمّ يصبّ في خدمة قيمة الكرم وإعلاء شأنها .

ويقول حاتم الطائي (١٨) : (من الطويل)

أبيت هضيم الكشح مضطمر الحشا حياءً ، أخاف الذمّ أنْ أتضلَّعا

فالكشح الهضيم هو الخصر الدقيق وهو يرمز الى الجوع كما يرمز الى الهزال أيضا ، واضطمار الحشا يعني انطواءها وفراغها من الطعام وهو يرمز الى الجوع أيضا ، والتضلّع يعني امتلاء الأضلاع لحما وهو يرمز الى الشبع ، لأنه يمثّل نقيصة في نظر حاتم لأنها تعدّ تفضيلا للنفس على الآخرين ، فهو يبذل زاده لضيوفه فلا يمتلئ له بطن ، لذا فهو يحافظ على هذا المظهر لدلالته الرمزية ، حتى وإن توافر له الطعام ولم يجد من يستضيفه ، فإنه يستحي أن يملأ به بطنه ، فينام على الجوع خشية أن يُرى مملوء البطن فيُفتضح أمره ويجلب له المذمّة ، فالمبيت على الجوع معيار سلوكي يتجلى في رمز (الخصر الدقيق) ورمز(انطواء الأحشاء) ، وهو يهدف الى إرضاء قيمة الكرم . (١٩)

ثانيا : إضاءة حول قيمة الكرم وأهميتها في حياة الانسان الجاهلي :

لعلّ أبرز خصلة يعتز بها العربي ويتميّز بها عن غيره هي الكرم ، فهو أحد الأسس الخلقية التي تمثل صورة الانسان عند العرب ، لذلك فقد أحبّ العرب هذه الفضيلة وحضوا على التخلق بها ، وتعدّ قيمة الكرم قيمة أصيلة في نفس الانسان العربي وسجية تنبع من ذاته ، وممّا يؤكد أصالتها هو صدورها منه على الرغم من قلة ذات يده (٢٠) ، كذلك فإن الكرم يمثّل في حياة البدوي قيمة وجودية أيضا وظيفتها الحفاظ على النوع الانساني ، فالإنسان الجاهلي إذا لم يكرم ضيفه فمعنى ذلك يدعه يواجه مصيره المحتوم وهو الموت في هذه الصحراء المهلكة وهو مصير سيواجهه هو أيضا ، من هنا فإن المحافظة والالتزام بفكرة الكرم والضيافة هي ادخار معنوي قيمي يدرأ عن الذات غوائل الجوع والضياع اللذين سيكونان المصير المحتوم في ما لو اختفت قيمة الكرم والضيافة من الثقافة الصحراوية ، لذا نجد أنّ الشاعر الجاهلي يؤكد هذه القيمة ويلتزم بها ويعدّها حقا من الحقوق الواجب عليه أداؤها ، ثمّ يحاول تثبيتها في واقعه كأساس مرجعي لوجوده ووجود الجماعة (٢١) .

ثالثا : معايير السلوك في مشهد استجلاب الأضياف :

في استقرائنا للشعر الجاهلي وجدنا أنّ هناك ثلاثة معايير سلوكية رئيسة تتخلّلها معايير ثانوية في استجلاب الأضياف وهم يجوبون الصحراء المترامية الأطراف في ظروف جوية قاسية ، وفي ليال حالكة الظلام وهي :

١-**معيار اختيار محل الإقامة** : يلجأ الانسان الكريم الذي يأخذ على عاتقه مسؤولية تقديم الضيافة للطارقين – وذلك ضمن تهيئه واستعداده النفسي والمادي لاستقبال الضيوف

– الى سلوك معياري يخدم قيمة كرم الضيافة ، وهو اختيار محل إقامته في الأماكن المرتفعة والبارزة ، وذلك ما يتجلى في قول أوس بن حجر (٢٢) (من الطويل)

وأنّ مكانـــي للمريديـــــن بارز وإن برزّوني ، ذو كؤود وذو حضن

وهناك معياران آخران غير بروز المكان يكشف عنهما الشاعر ، الأول : الثبـات والقـوة الذي يدل عليه الرمز اللغوي (ذو كؤود) والثاني : المنعة الذي يدلّ عليه الرمز اللغوي (ذو حضن) ، ففضلا عن كون معيار (بروز المكان) يصبّ فـــي خدمة كرم الضيافـــة ، وذلك كونه أدعى لاستجلاب الضيوف ، فإننا نستشف من المعيارين الآخرين أنهما يقدمـان الأمن والطمأنينة للضيوف . أما المعيار الذي يقابل هذا المعيار (الإقامة فـي محل بـارز) ، وهو الإقامة في أماكن منخفضة غير بارزة ، فهو معيار سلوكي لا ترتضيـــه الجماعـــة وهو سلوك مستنكر وغير مقبـول ، وهذا ما يحذر منه ذو الاصبع العدواني ابنـــه فـــي معرض وصيته له ، إذ يقول(٢٣) : (مرقّل الكامل)

واحلل على الأيفاع للـ ـعافين واجتنب المسيلا

وهناك سلوك معياري آخر هو اختيار محل الإقامة وسط الناس ، غيـــر منعـزل عنهـم وهو سلوك محمود يدل على استعداد صاحبه للكرم والضيافة ، وذلك مـــا عبّر عنه المسيّـب بن علس في معرض مديحه ، إذ يقول (٢٤) : (من الكامل)

أحللت بيتك بالجميع وبعضهم متفرّق ليحلّ بالأوزاع

فإحلال بيت الكريم بين بيوت الناس هو معيار للسوك المحمود والسلوك الأمثل ، إذ يدلّ على استعداد صاحبه على استقبال الناس والقيام بمهام الضيافة لهم ، كما أنه يمثّل سلوكـــا معياريا محمودا ترتضيه الجماعة ، على عكس المعيار السلوكي الآخـــر الذي يقابله وهـــو

الإقامة في بيت منعزل ومنتبذ عن مجتمع الناس ، والـذي يكـون موضع مذمّـة الناس لأنه دليل على البخل وعدم الاستعداد للبذل .

وثمّة معيار آخر في السياق ذاته ، يقول زهير بن أبي سلمى في معرض مديحه لسنان بن أبي حارثة المرّي (٢٥) : (من الكامل)

خلط ألوف للجميع ، ببيته إذ لا يحلّ ، بحيّز المتوحّد

فاختلاط الكريم بالناس ومخالطته لهم ، وما يترتّب عليه من ألفته لهم ، وألفتهـم لـه ، سلوك معياري يخدم قيمة كرم الضيافة وهو الهدف الذي يتوخاه الكريم مـن هذا السلـوك .

أمّا الرموز اللغوية المستعملة للدلالة على هذا المعيار فهي : (مكانـي بـارز) و(أحللت بيتك بالجميع) و(احلل على الأيفاع) ، كما في الأمثلـة المتقدمـة ، و (محـلال التلاع) ، كما في قول طرفة بن العبد (٢٦) : (من الطويل)

ولست بمحلال التلاع لبِيتةٍ ولكن متى يسترفد القوم أرفد

و(ذرى مشرف القصور) ، كما في قول أمية بن أبي الصلت (٢٧) : (من الخفيـف)

لا الغيابات منتواك ولكن في ذرى مشرف القصور ثواكا

٢-معيار إيقاد النار: كما يلجأ الانسان الكريم الى إيقاد نار قرب منزله ، فـي مكان ظاهـر وبارز تسمى نار القرى (وهي نار توقد لاستدلال الأضياف بهـا علـى المنـزل وتسمـى أيضا (نار الضيافة) ، وهذه النار عندهم أجلّ سائر النيران بسـبب أنها تهـدي الى بيوتهـم الضِيفـان) ، (٢٨) ويذكر الأعشى هذه النار فـي معـرض مديحه للمحلـّق ، إذ يقـول (٢٩) : (مـن الطويل)

لعمري لقد لاحت عيون كثيـرة الى ضوء نار في يفاع تحـرّق

تشبّ لمقرورَين يصطليانهـــا وبات على النار الندى والمحلـق

فإيقاد النار قرب منزل الكريم وجعلها دالة الضّال في الصحــراء ، هو ســـــلوك محمود ، أمّا جعلها على مكان مرتفع تلوح للناظرين من بعيد فهو معيـــار للســـلوك الأمثل عنـــد العرب ، وهو سلوك أدعى لاجتلاب الأضياف وهو ما يهدف اليـه الكريم ويتوخاه ، وهو مـا يرفع من شأن قيمة الكرم ويصّب في خدمتها .

وثمّة معيار آخر في هذا السياق نلمســـه في قول عدي بن زيـــد (٣٠) : (مـــــــن المديد)

ربّ نار بتّ أرمقها تقضم الهنديَّ والغارا

وفي قول الحارث بن حلّزة اليشكري (٣١) : (من الخفيف)

أوقدتْها بين العقيق فشخصَيْ ـن بعود كما يلوح الضياء

فتغذية النار بنباتات تشع منها رائحة طيّبة كالغار وعود الطيب ، هو معيـــار للســـلوك الأمثل ، وهو يرفد ويعزّز المعيار السابق ، إذ يقوّي من احتمالية اجتلاب الأضياف ، كمـــا يجعل من إيقاد النار أكثر جدوى لعملية اجتلاب الأضياف وهو ما يحرص عليـــه الكريـــم ويطمح اليه . ومن ثمّ يخدم قيمة هي قيمة الكرم . والرمزان اللغويان المستعمـــلان للدلالـــة على هذا المعيار هما : (الغار) و(عود) .

ومن الجدير في هذا السياق أن نشير الى معيار طريف ذكره حاتم ، فـــي قولـه (٣٢) : (من الرجز)

أوقد فإنّ الليل ليـــل قـــرّ
والريح يا موقد ريـح صـــرّ
عسى يرى نارك مـن يمـرّ

إن جلبت ضيفا فأنت حرّ

فمكافأة حاتم لعبده بالحرية تقديرا لخدمته في إيقاد النار والسهر عليها لمتابعتها وتغذيتها لئلا تخبو حتى تجلب له ضيفا ، هو معيار للسلوك الأمثل وهو سلوك فريد فيما نعلم من معايير السلوك للأجواد في العصر الجاهلي .

أمّا المعيار المقابل لهذا المعيار فيتمثّل في قول أبو زياد الأعرابي (٣٣) : (من الوافر)

له نار تُشَبُّ بكل وادٍ إذا النيران ألبست القناعا

وهو معيار (إخماد النار) وهو معيار للسلوك المذموم عند العرب ، فهو يدلّل بأنّ صاحبه ليس لديه الاستعداد المادي لكرم الضيافة ، فضلا عن أنه دليل على البخل ، فمعيار إخماد النار قد تجلى هنا رمزيا في الصورة الكنائية (ألبست القناعا) التي كان الشاعر موفقا في التعبير عنه .

وفي السياق ذاته ، يقول المرقّش الأكبر هاجياً (٣٤) : (من السريع)

ويخرج الدخان من خلل الـ ـستر كلون الكودن الأصحمْ

أمّا معيار إخماد النار هنا فقد تجلّى رمزيا في الصورة الكنائية التي كان الشاعر هو الآخر موفقا في تصويرها والتفنن فيها ، وهي صورة إخراج الدخان الأسود من نافذة البيت .

واستكمالا للسياق نشير الى أهم الرموز اللغوية المستعملة في الدلالة على إيقاد النار في الأمثلة المتقدمة فهي : (تشبّ) و(أوقدتْها) و(أوقدْ) و(تُشَبُّ) ، أمّا الرمز اللغوي المستعمل في الدلالة على مكان النار فهو (يفاع) .

٣-**معيار نبح كلب الضيافة :** كلب الضيافة هو الكلب التي تمّ تدريبه وإعداده إعـــــــدادا جيدا لاجتلاب الأضياف ، فهو يرهف أذنيه متنصتاً ، باحثا عن صوت ، عـــن صـــدى ، إنّه في حالة ترقب دائم – شأنه في ذلك شأن صاحب البيـت – (٣٥) ، لسمـــــــاع أي صوت قد يصدر من شخص قادم يقلّد فيه نبح الكلاب وهو مايعرف بـ (المســـتنبح) وهـــو ما سنفصل الحديث عنه في المشهد القادم ، فيجيبه فـــي الحال ، فيهتدي الضيف الى منزل المضيف حال سماعه نبح الكلب ، وهذا ما نلمسه فـي قول المتلمّس (٣٦) : (من الطويل)

ومستنبح تستكشف الريح ثوبـــه ليسقط عنه وهو بالثوب معصم

....

فجاوبه مُستَسمَع الصوت للندى له عند إتيان المحبّين مطعـــم

فمجاوبة كلب الضيافة الذي تجلّى في الرمز (مســـتسمع الصوت) ، هـــو معيـــار لسلوك الكلب الأمثل الذي يعزّز الغاية المرجوّة منه وهي استجلاب الضيوف ، فضلا عـــن تدريب الكلب وإعداده في تقمّص هذا الدور يعدّ معيارا آخر يرفد ويعزّز الهدف الذي يطمـح له صاحب المنزل وهو استجلاب الضيوف ، ثمّ تعزيز قيمة الكرم .

رابعاً : معايير السلوك في مشهد قدوم الضيف وطريقته في التماس الضيافة :

يتكوّن هذا المشهد من مشهدين : مشهد الضيف ، وما يعانيه من تعب وإعياء ونصب ، بسبب ما يتعرض له من ظروف جوية قاسية ، وما ينطوي عليه هذا المشهد من معاييـــر، والمشهد الآخر هو مشهد كلب الضيافة ، وسلوك الكلب اتجاه الضيف ، وما ينطوي عليـــه من معايير .

- **معايير السلوك في مشهد الضيف :** ينطوي هذا المشهد على معايير لسلوك الضيف يمكن استخلاصها ممّا توافر لدينا من نصوص شعرية ، يقول عمرو بن الأهتم (٣٧) : (من الكامل)

ومستنبح بعد الهدوء دعوتـــه وقد حان من نجم الشتاء خفوق
يعالج عرنينا من الليــل باردا تلفّ ريـاح ثوبـــه وبـــــروق
تألّق في عين من المزن وادق له هيدب داني السحاب دفـوق

فالمستنبح هو (أنّ الرجل إذا كان باغياً أو زائراً أو ممّن يلتمس القرى ، ولم ير بالليـــل ناراً عوى ونبح لتجيبه الكلاب ، فيهتدي بذلك الى موضع الناس) (٣٨) ، وهو رمز للإنسان التائه في الصحراء ليلا ، الذي يعتريـــه البرد والخـــوف والقلق والحيرة ، والذي يبحث عن ملاذ آمن يؤويه (٣٩) . فالمعيار الأول الذي يطالعنا فـي هذا النص هو (الإستنباح) ، وهو معيار لسلوك الضيف ، وهو سلوك قد تعارفـــت عليـــه العرب ، أمّا المعيار الآخر فهـو (صور معاناة الضيف) ، فأغلب النصوص الشعرية في هذا المشهد تكرس صورة المعانـــاة التي تعتري الضيف في أثناء رحلته في الصحراء ومحاولاتـــه فـي التماس القرى ، وهـــي معانـاة أملتها عليه ظروف جوية قاسيـــة ، تجلّت في الرمـــز (يعالـــج عرنينا من الليل باردا) ، والرمز (تلفّ رياح ثوبه وبروق) ، والرمز (تألّق في عين من المـزن وادق) ، والرمز (له هيـدب داني السحاب دفوق) ، ويبدو لي أنّ سبب تكريس هذه الصور التي تظهـر عظم معانـــاة الضيف هو إظهار (المضيف) بمظهر المنقذ الذي يحاول إنقاذ الضيف مـــن الأخـــطار المحدقة به ، التي ربمّا تفضي به الى الهلاك ، فضلا عن كونه مضيافا ومـــلاذا آمناً له . وثمّة تنوّع في صور هذا المعيار ، صور تتخطى العوامل الخارجية التـــي تلقـــي بظلالهـا على جسد الضيف لتلج العالم الداخلي (النفسي) له ، وهذا ما تجلّى فـــي نـــص المثقّب العبدي ، إذ يقول (٤٠) : (من الطويل)

وسارٍ تعنّاه المبيت فلم يـــدع له طامس الظلماء والليل مذهبـا
رآى ضوء نار من بعيد فخالهـا لقد أكذبته النفس بل راء كوكبـا
فلمّا استبـــان أنّها آنسيّـــة وصدّق ظنّا بعد ما كان كذّبـــا
رفعت له بالكفّ ناراً تشبّهـــا شآمية نكباء أو عاصف صبـــا

فالمعاناة هنا معاناة نفسية ، تتمثّل في حالة القلق والحيرة التي تعتري الضيف حال مشاهدته ضوء النار من بعيد ، فهو قد انتابته الحيرة بين تصديق عينيه في أنّ ما رأى هو ضوء نار على الحقيقة ، وبين وساوس النفس وهواجسها وقلقها في أنّ ما تراءى له هو ضوء كوكب ، وهنا ينبري معيار سلوكي آخر يلجأ اليه الكريم وهو رفع النار بالكف لينقذ الضيف ويخلّصه ممّا فيه ، وينهي حالة الحيرة والقلق ، ويعود الى صوابه واتّزانه ، فيتيقّن من أنّ النار هي نار حقيقية .

كما تجلّى معيار (معاناة الضيف) في صورتيه الجسدية والنفسية ، في نص لحاتم ، إذ يقول فيه (٤١) : (من الطويل)

وداعٍ دعا بعد الهدوّ كأنّما ... يقاتل أهوال السّرى وتقاتله
دعا آئساً شبه الجنون ، وما به ... جنون ، ولكن كيد أمر يحاوله
فلمّا سمعت الصوت ناديت نحوه ... بصوت كريم الجدّ حلوٍ شمائله

فمعاناة الضيف هنا تتمثّل في صورتين ، تتمثّل الصورة الأولى في ما تعتريه من أهوال الظروف الجوية القاسية التي تكاد تفتك به ، وهو يتصدى لها ويتقيها بكل ما أوتي من قوة ، والرمز اللغوي المستعمل للدلالة على هذه الصورة هو (يقاتل أهوال السّرى وتقاتله) ، أمّا الصورة الثانية فهي صورة نفسية ، تتمثّل في حالة اليأس التي تعتريه من عظم ما لاقاه وهو يجوب الصحراء بحثا عن مأوى يؤويه وملاذا يلجأ اليه ، وحالة اليأس هذه تسلمه الى ما يشبه الجنون ، لولا سماعه لصوت يناديه وهو صوت الكريم الذي يكتنفه الكرم والأريحية والذي يمكن عدّه معياراً سلوكياً منقذاً للضيف ممّا هو فيه .

والرمز اللغوي المستعمل للدلالة على هذه الصورة النفسية هو : (آئساً شبه الجنون) .

- **معايير السلوك في مشهد كلب الضيافة** : ينطوي هذا المشهد كذلك على معايير لسلوك الكلب يمكن استخلاصها ممّا توافر لدينا من نصوص شعرية ، يقول المتلمّس الضبعي (٤٢) : ٠من الطويل)

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلاً يكلمّه ، من حبّه ، وهو أعجم

ففرحة الكلب وغبطته بقدوم الضيف ، معيار للسلوك الأمثل للكلب ، إذ يتجلّى هذا المعيار رمزيا في التعبير (يكاد يكلمّه) على طريقة الكلاب الخاصة في إظهار استئناسها للإنسان الذي تعتاد عليه ، وثمّة معيار آخر في النص الآتي (٤٣) : (من الطويل)

حبيب الى كلب الكريم مناخه بغيض الى الكوماء والكلب أبصر

فإحساس الكلب بالفرحة الغامرة حال نزول الضيف ضيفا على صاحب البيت ، هو معيار للسلوك الأمثل للكلب ، ولا عجب في ذلك فمعه يأتي الشبع (٤٤) .

خامسا : معايير السلوك في مشهد استقبال الضيف : ينطوي هذا المشهد على معايير متعددة للسلوك المحمود والأمثل للكريم اتجاه ضيفه ، فأول هذه المعايير هي استقبال الضيف بالتحية والترحيب ، ويتّضح ذلك في قول المثّقب العبدي (٤٥) : (من الطويل)

فلمّا أتاني والسماء تبلّه فلقّيته : أهلا وسهلا ومرحبا

ويتّخذ هذا المعيار صيغة متواترة في أغلب النصوص الشعرية الجاهلية ، إذ يتّخذ رمزاً لغوياً نمطياً ، يتمثّل في العبارة النمطية (أهلاً وسهلاً ومرحباً) ، كما في قول عمرو بن الأهتم (٤٦) : (من الطويل)

وقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا صبوح راهن وصديق

وقول طفيل الغنوي (٤٧) : (من الطويل)

وبالسهب ميمون الخليقة قوله لملتمس المعروف أهل ومرحب

وقول ضمرة بن ضمرة النهشلي (٤٨) : (من الطويل)

وقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً وأكرمته حتّى غدا وهو حامد

وقول حاتم الطائي (٤٩) : (من الطويل)

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً رشِدْتَ ، ولم أقعد اليه أسائله

وثمّة أمر يستوقفنا في هذا السياق وهو جدير بالتأمل ، وهو ما أماط عنه اللثام منبّها عمرو بن الأهتم في لوحته قبل إبداء الترحيب بالضيف ، إذ يقول (٥٠) :

أضفت فلم أُفحِشْ عليه ولم أقل لأحرمه : إنّ المكان مضيق

وهو أنّ الكريم لا ينبغي له أن يُسمع الضيف كلاما بذيئاً مستنكراً ، يجرح كرامته ، ولا يليق بشخصه ومكانته الاجتماعية ، الأمر الذي تكون له مردودات سلبية على الكريم ، تقدح بضيافته ، بل يُسمعه كلاماً طيباً ليّناً ، طالما هو في كنفه ورعايته وضيافته ، كما ينبّه الكريم الى أمر آخر ، وهو لا ينبغي على المضيف أن يتحجج بضيق المكان ، ليحرم الضيف من الضيافة ، فكلا الأمرين قبيح في نظر الكريم ، ومعيار لسلوك غير محمود وغير مرضي في العرف العربي الجاهلي ، وثمّة معيار آخر للسلوك غير المحمود ، ينبّه اليه حاتم الطائي في النص المذكور آنفاً ، وهو إطالة الجلوس مع الضيف وسؤاله عن اسمه وعن قبيلته ، فهي ممّا يُستقبَح فعله في العرف الجاهلي ويعدّ عيباً ونقيصة تلحق بالكريم . أمّا الرموز اللغوية المستعملة للدلالة على هذه المعايير فهي (فلم أُفحِشْ عليه) و (ولم أقل لأحرمه : إنّ المكان مضيق) و (ولم أقعد إليه أسائله) .

وثمّة معايير أخرى في سياق هذا المشهد منها : معيار إظهار البِشْر وطلاقة الوجه للضيف ، إذ يدلّل على أريحية الكريم وطيب نفسه ودماثة خلقه ، وهو ما يتجلّى في قول زهير في سياق مديحه لهرم بن سنان ، إذ يقول (٥١) : (من الطويل)

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي هو سائله

فزهير يدرك تمام الإدراك وهو الشاعر الذي يمثّل صوت الجماعة وضميرها الناطق بأنّ هذا المعيار محمود في العرف الاجتماعي للجماعة ، وهو إذ يسبغه على ممدوحه ، يطمح ويأمل من خلال ذلك ، إشاعته بين الناس بغيه الالتزام به والحثّ على ممارسته ، كما يدرك أنّ هذا المعيار للسلوك يرفع من شأن ممدوحه ، ثمّ يرفع من قيمة الكرم .

أمّا الرمز اللغوي المستعمل للدلالة على هذا المعيار فهو(جئته متهلّلا) .

ويتجلّى كذلك في قول طرفة بن العبد في سياق فخره بقومه ، إذ يقول (٥٢) : (من الرمل)

ولقد تعلم بكر أننا واضحو الأوجه في الأزبة غرّ

أمّا طرفه ، إذ هو في سياق الفخر بكرم قومه ، يدرك بأنّ وضوح وجوه قومه وطلاقتها ، هو معيار للسلوك الأمثل والمحمود في الوسط الاجتماعي الجاهلي ، لذا كان هذا المعيار موضع فخره ، وثمّة معيار آخر يسبغه على قومه ، وهو أنّ كرم قومه يأتي في زمن القحط والجوع والأزمات ، الزمن الذي يحاول البخيل فيه إدخّار ما لديه من طعام ، وإنفاقه على نفسه ، في حين أنّ طرفة يؤكد أنّ بذل قومه يكون في زمن القحط والأزمة ، وهذا ما يرفع من شأن قومه بين العرب ، ومن ثمّ يسهم هذان المعياران (وضوح الأوجه) و(البذل في زمن القحط والأزمة) في رفد قيمة الكرم وتعزيزها . والرمز اللغوي

المستعمل للدلالة على معيار بشر الوجوه وطلاقتهـــا هو(واضحو الأوجه غرّ) ، أمّا الرمــز اللغوي المستعمل للدلالة على زمـــــن القحـــط والأزمة فهو(الأزبة) .

ويتجلّى المعيار ذاته في قول الأعشى في سياق مديحه للمحلّق ، إذ يقـول (٥٣) : (من الطويل)

ترى الجود يجري ظاهرا فوق وجهه كما زان متن الهندوانّي رونق

والجديد في هذا النص يتمثّل في صورة عرض هذا المعيار(ألق الوجه وطلاقتــه) ، إذ تجلّى في الصورة الكنائية (ترى الجود يجري ظاهرا فوق وجهه) ، والصورة التشبيهية (كمـــا زان متن الهندوانّي رونق) ، فجود الممدوح يرتسم بصورة واضحة جلية على قسمات وجهـه ، كما زيّن الألق والرونق وجه الحسام .

فهاتان الصورتان الفنيتان يسهمان في رفع منزلة الممدوح أولاً ، وفي رفع شـــأن قيمـــة الكرم ثانياً .

سادساً : مشهد استراحة الضيف واستقراره والتقاط أنفاسه من (رحلـــــة المعانـــــاة) فـــي الصحراء : في هذا المشهد ، تطالعنا معايير لسلوك الكريم اتجاه ضيفه ، حال استراحتـــــه والتقاط أنفاسه من رحلة المعاناة في الصحراء منها : مفاكـهة الضيف ومؤانسته ومضاحكته ، وذلك لرفع الحرج عنه وإشعاره بالطمأنينة ، وبأنْ لا فرق بيـن إقامته في بيته وإقامته فـــي بيت الضيافة ، كما في قول امرئ القيــس (٥٤) : (مـــن الطويل)

يفاكهنا سعد ويغدو لجمعنا بمثنى الزّقاق المترعات وبالجزر

وقول المتنخّل الهذلي (٥٥) : (من الوافر)

فلا والله نادى الحيّ ضيفـي هدوءاً بالمساءة والعـــلاط

سأبدؤهم بمشمعة وأثنـــــي بجهدي من طعام أو بساط

وقول حاتم الطائي (٥٦) : (من الطويل)

أضاحك ضيفـــي قبل إنزال رحلـــه ويخُصب عندي والمحلّ جديب

وما الخِصب للأضياف أن يكثُر القرى ولكنّما وجه الكريـــم خصـيب

وهنا يقرر حاتم حقيقة مفادها أن ليس كرم الضيافة بكثرة القرى ومـا يقدم للأضيـاف ، وإنما بإشاعة البشر في استقبال الأضياف ، وإظهار الأريحية لهم ، وبث الطمأنينـة فـي نفوسهم ، حتى قيل (وتمام الكرم مضاحكة الضيف ومحادثته وطلاقـة الوجه) (٥٧) . أمّـا الرموز اللغوية المستعملة في الدلالة على هذا المعيـار فهـي (يفاكهنـا) و(بمشمعة) و(أضاحك) ، ومن المعايير الأخرى أيضا : تقديم وجبة خفيفـة من (اللبـن) للضيـف ، قبل الوجبة الرئيسة ، للتخفيف عمّا يشعر به من جوع وعطـش في أثناء رحلته في الصحـراء ، وهذا ما يؤكده لبيد في سياق الفخر بقومه وهم يقدمون لبناً محضاً ، إذ يقـول (٥٨) : (من الطويل)

وإنّا أناس لا تزال جيادنـا تخبُّ بأعضاد المطـيِّ مخدَّمـا

تكرُّ أحاليبُ اللديد عليهمُ وتُوفى جفانُ الضيف محضا معمَّما

فتقديم اللبن محضاً للأضياف ، هو معيار للسلوك الأمثل للكريم ، إذ أنّـه يمثّـل (قيمـة كبرى ، وينظر اليه على أنّه دليل على الضيافة في الأوقات الصعبـة التـي تسـود الحاجة فيها .) (٥٩) ذلك أنّ العرب كان من شأنهم في سنيّ القحط والجدب ، أن تنضـح الضروع بالماء البارد لإبقاء اللبن فيها ، ادّخاراً أو بخلاً . (٦٠) وهذا ما يحذّر منـه الحارث بن حلّزة اليشكري ابنه في سياق وصيّته له ، إذ يقول (٦١) : (من السريع)

لا تكسع الشوْل بأغبارهـا إنّك لا تدري مَن الناتـجُ

....

فاصبُبْ لأضيافك ألبانهـا فإنّ شرّ اللبن الوالـجُ

أمّا المعيار الذي يقابل هذا المعيار وهو (ادخار اللبن) لأي سبب كـــان ، هـــو معيار للسلوك المستهجن من قبل الجماعة ، إذ لا يتماشى مع أعرافها الاجتماعيـــة التي تحـرص على اتّباعها في كرم الضيافة ، من هنا نجد أنّه كان موضـــع هجـــاء الشعراء ، لما فيـــه من سلبٍ لفضيلة الكرم من المهجو ، فهذا عامر الطفيل يهجو قوما ويعيّرهم ببخلهـــــم ، إذ يقول (٦٢) : (من الكامل)

سودٌ صناعِيَةٌ إذا ما أوردوا صدرت عتُومَتُهُم ولمّا تحلبِ

وهذا الأعشى يمتدح أصحابه بنفيه عنهم هذه الخصلة السيئة ، إذ يقـول (٦٣) : (مـــن الرمل)

لا يشحّون على المال ، وما عُوّدوا في الحيّ تصرارَ اللِّقحْ

والرموز اللغوية المستعملة في الدلالة على هذا المعيار المقابل هي (لا تكسع الشـــــول بأغبارها) و(صدرت عتومتهم ولمّا تحلب) و(تصرار اللِّقح) .

سابعاً : معايير السلوك في مشهد (النحر) : درج الأجواد في هذا المشهد علـــــى التـــــزام معايير للسلوك المحمود الذي يتناسب مع قيمهم التي اعتادوا عليهـــا واستحســنوهـــا وحثّـوا الناس على التقيّد بها ، ويمكننا أن نستخلص هذه المعايير ممّا توافر لدينا مـــن نصـــــوص شعرية زخر بها تراثنا في العصر الجاهلي ، فمن هذه المعاييـــــر: معيـــار اختيار الناقـــة التي تنحر للأضياف : يقول المثقّب العبدي (٦٤) : (مـــن الطويـــل)

وقمت الى البرك الهواجد فاتّقـت بكوماء لم يذهب بها النيّ مذهبـــا
فرحبّتُ أعلى الجنب منها بطعنة دعتْ مستكنَّ الجوف حتّى تصبّبا

ويقول عمرو بن الأهتم (٦٥) : (من الطويل)

وقمت الى البرك الهواجد فاتّقـت مقاحيدُ كومٌ كالمجـــادل روقُ

بأدماء مرباع النتّـــاج كأنّهـــا إذا عرضت دون العشار فنيق
بضربة ساقٍ أو بنجـــلاء ثـــرّةٍ لها من أمام المنكبين فتيـــق

ويقول حاتم الطائي (٦٦) : (من الطويل)

وقمت الى برك هجـــان أعـــدّه لوجبـــة حـــقٍّ نازلٍ أنا فاعلـــــــه
بأبيض خطّتْ نعله حيث أدركت من الأرض ، تخطلْ عليّ حمائلـه

فاختيار الكريم لأفضل ما يملك من النوق التي تتميّز بأنها من كرائـــم النـــــــــوق ، وأكثرها اكتنازاً للحم والشحم ، وأعظمها أسنمة ، وذبحها تكريماً للضيف ، هـــو معيـــــار سلوكي ، ينال به حمد الجماعة واستحسانها ، فضلا عن أنّه يرفع من شأنـــــــه ، كمـــا يرفـــع من شأن قيمة الكرم أيضاً. أمّا الرموز اللغوية المستعملـــة للدلالـــة علـــى هـــذا المعيـــار فهي (كوماء) و(مقاحيد كوم) و(أدماء) و(هجان) .

والمعيار السلوكي الآخر الذي يمكن أن نستخلصه في هذا السياق هو : اختيـــار أفضل جزء من جسم الناقة : إذ يعدّ (شحم السنام) أو ما يعرف بالـ(السديف) ، أفضـــل ما يقـــدّم للأضياف من طعام ، يقول الجاحظ في هذا الشأن : (وليس يكـون فوق عقر الإبل وإطعام السنام شيء) (٦٧) ، وهو كان ينظر اليه في الجاهلية علـى أنّه من أطايب الطعام ، وقـد تكون له دلالة رمزية ذات صلـــة بالتشريـــف (٦٨) ، وتقديمه للضيف هو معيار للسلـوك الأمثل الذي يعزّز من قيمة الكرم ، وفـــي ذلـــك يقول لبيد (٦٩) : (من الرمل)

فلقد أعوص بالخصم وقد أملأ الجفنة من شحم القُلُلْ

والرمز اللغوي المستعمل للدلالة على هذا المعيار هو(أملأ الجفنـــة من شـحم القلـــلْ) والقُلل : جمع قُلة وهو السنام .

وثمّة معيار آخر يشير اليه حسّان بن ثابت بقوله في سياق الفخر بقولـه (٧٠) : (مـــن الطويل)

وإنّا لنقري الضيف إن جاء طارقاً من الشحم ما أضحى صحيحاً مسلّما

وهو تقديم اللحم الصحيح والسليم الذي لا تشوبه علّة ولا مرض ، وهذا معيار يرفع من شأن ضيافة الكريم ، ومعنى ذلك أنّ العرب لا ترتضي أن تذبح الناقة المريضة أو التي بها علّة ، وتعدّه معياراً سلوكياً منافياً لقيمها وتقاليدها وسياقاتها في الضيافة ، وهو يكشف عن اللؤم وشح الأنفس ، كما كان مبرّرا قوياً لهجاء الشعراء ، وهذا ما عبّر عنه أوس بن حجر وهو يهجو بطناً من بني أسد قائلا (٧١) : (من الطويل)

مباشيم عن لحم العوارض بالضّحى وبالصيف كسّاحون ترب المناهل

أمّا الرمز اللغوي المستعمل للدلالة على هذا المعيار هو(لحم العوارض) ، والعوارض : الإبل التي تذبح عن علّة .

ثامناً : معايير السلوك في مشهد مبيت الضيف : ونختم مشاهد الضيافة بهذا المشهد ، إذ يمكننا أن نستخلص منه أربعة معايير لسلوك الضيف اتجاه ضيفه : الأول توفير ما يحتاجه من فراش وغطاء ودفء ، والثاني تفرّغ الكريم لضيفه وعدم انشغاله عنه ، والثالث تبادل أطراف الحديث اللطيف مع الضيف قبل نومه ، والرابع تأمين الحماية للضيف وهذا ما يتجلّى في قول عتبة بن بجير الحارثي (٧٢) : (من الطويل)

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنّع
أحدثّه إنّ الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

وقول زهير بن جناب الكلبي (٧٣) : (من البسيط)

لا يمنع الضيف إلّا ماجد بطلٌ إنّ الكريم كريمٌ أينما كانا

فتوفير ما يحتاجه الضيف من فراش وغطاء للدفء لينام ليلته بعد معاناة وسفر طويل ، هو معيار للسلوك الأمثل الذي به تكتمل متطلبات الضيافة بصورتها المشرّفة ، وهو

ما يصب في خدمة قيمة الكرم ، والرمز اللغوي المستعمل للدلالة على هذا المعيار هو (فراشي فراش الضيف والبيت بيته) ، كما أنّ تفرغ الكريم لضيفه والقيام بخدمته وعدم انشغاله بزوجه التي كنّى عنها بالرمز(غزال مقنّع) ، هو معيار للسلوك المحمود عند العرب ، من شأنه أن يسهم في رفع قيمة الكرم ، والرمز اللغوي المستعمل للدلالة على هذا المعيار هو(ولم يلهني عنه غزال مقنّع) ، أمّا تبادل الكريم أطراف الحديث مع الضيف ، حتى يسلمه الى النوم ، فهو الآخر معيار للسلوك الحسن ، فهو من القرى ، ومن شأنه أن يرفع من قيمة الكرم أيضاً ، فالكريم يدرك مثل هذا السلوك ومدى تأثيره الايجابي على راحة الضيف ، من خلال تجربته الطويلة مع الأضياف ، وذكر المرتضى في أماليه أنّ معنى أحدّثه إنّ الحديث من القرى ، (أي أصبر على حديثه وأعلم أنّه سوف ينام ولا أعرض بمحادثته فأكون قد محقتُ قراي والحديث الحسن من القرى ..) (٧٤) ، والرمز اللغوي المستعمل للدلالة على هذا المعيار هو(أحدثّه إنّ الحديث من القرى) ، والمعيار الأخير في هذا المشهد هو تأمين الحماية للضيف ، فتأمين الحماية للضيف والحفاظ على حياته وماله ، مسؤولية يحملها الكريم على عاتقه ، وهي جزء من كرم الضيافة ، لذلك عدّت مسؤولية (منع الضيف وحمايته) معياراً للسلوك الحميد في العرف الاجتماعي الجاهلي ، ممّا يرفع من شأن الكريم ، وقيمة الكرم على السواء .

الخاتمة ونتائج البحث.....

وفي الختام يمكننا أن نجمل أهمّ ما توصل اليه البحث من نتائج بالنقـاط الآتيـــة :

- تمّ تحديد مصطلح (معايير السلوك) لغة واصطلاحاً ، كما تمّ تحديده في منظـــور البحث ، وتوضيح دلالتـــه بدقة ، وكشف صلته الوثيقة بالقيم من جهة ، وبصلتـــه بالرموز التي تتجلّى فيها هــذه المعايير من جهة أخرى .
- كشف البحث أنّ هناك معايير للسلوك الأمثل تنطوي عليها قيمة الكرم ، في صـــورة من صور تجلّيها ، وهي مشاهد كرم الضيافة العربية .
- اتضح من خلال الرصد والتحليل أنّ كل مشهد من المشاهد التي تتجلّى فيها قيمـــة الكرم ينطوي على جملة من معايير السلوك التي تتناسب وقيم الجماعة وتقاليدهـــا .
- سلّط البحث الضوء على أهمية قيمة الكرم في حياة الانسان الجاهلي .
- رصد البحث خمسة مشاهد تجلّت فيها معايير السلوك لقيمة الكرم تجلّيـاً واضـــحاً ، ابتداءً من مشهد استجلاب الضيف مروراً باستقباله الى مشهد مبيته في بيت الكريم .
- كشف البحث بالرصد وتحليل النصوص الشعرية عن أنّ هناك ثلاثة معايير رئيســـة للسلوك في مشهد استجلاب الأضياف ، تتخلّلها معايير سلوكية ثانوية ، وجميع هـذه المعايير قد اقترنت برموز مثّلت كينونة تجلّيها ، وهذه المعايير من شأنها أن ترفع من قيمة الكرم ، فضلا عن تأثيرها الايجابي على سمعة الكريم ومنزلتـــه فـــي الوســـط الاجتماعي الجاهلي ، وهو ما يطمح اليه الكريم .
- رصد البحث بالتحليل أيضاً معايير السلوك في مشهد قدوم الضيف وطريقتـــه فـــي التماس الضيافة ، كما قسّم البحث هذا المشهد الى مشهدين : مشـــهد الضيـــف ومعاناته على المستويين الجسدي والنفسي ، وما انطوى عليه من معاييـــر للسلوك ، ومشهد كلب الضيافة وما انطوى عليه من معايير للسلوك .

- كشف البحث عن معايير السلوك التي انطوى عليها مشهد استقبال الضيف ، وكشف الرموز اللغوية التي تجلّت فيها هذه المعايير .
- أوضح البحث من خلال الرصد وتحليل النصوص الشعرية معايير السلوك التي انطوى عليها مشهد استراحة الضيف واستقراره والتقاط أنفاسه من (رحلة المعاناة) في الصحراء .
- كشف البحث عن معايير السلوك في مشهد (النحر) ، واقترانها برموزها اللغوية التي تجلّت فيها .
- وأخيراً استخلص البحث أربعة معايير لسلوك الكريم اتجاه ضيفه في مشهد مبيت الضيف الأول : توفير ما يحتاجه من فراش وغطاء ودفء ، والثاني : تفرّغ الكريم لضيفه وعدم انشغاله عنه ، والثالث : تبادل أطراف الحديث الحسن قبل نومه ، والرابع : تأمين الحماية للضيف .

الهوامش .....

١- لسان العرب : ابن منظور ، (مادة عير)

٢- أساس البلاغة : الزمخشري ، (مادة عير) ،

٣- ينظر : المعجم الفلسفي : د. جميل صليبا : ٣٩٩/٢

٤- ديوان الهذليين : ٤٢/٢ ، قتائدة : الثنيّة من الأرض ، الجمّالة : أصحاب الجمال .

٥- م . ن : ١١٠/٣ ، شمّاء : عقبة طويلة في الجبل

٦- ينظر : لسان العرب : مادة (سلك) ، وينظر أيضاً : الصحّاح للجوهري : مادة (سلك)

٧- شرح ديوانه : ١٤٦ ، بذرعك : بخطوك

٨- مختار الصحّاح : أبو بكر الرازي : (مادة سلك)

٩- أساس البلاغة : الزمخشري : (مادة سلك)

١٠- المعجم الفلسفي : ٦٧١/١

١١- ينظر : معجم المصطلحات النفسية والتربوية : د. محمد مصطفى زيدان : ١٥٦

١٢- ينظر : معجم علم النفس والتحليل النفسي : مجموعة باحثين ، إشراف ومراجعة : د. فرج عبد القادر طه : ٢٢٥

١٣- ينظر : معجم المصطلحات النفسية والتربوية : ١٥٦

١٤- ينظر : مفاتيح اصطلاحية جديدة /معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع : مجموعة مؤلفين : ترجمة سعيد الغانمي : ٣٩٦

١٥- موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد علي التهانوي : ٩٦٩/١

١٦- ينظر : مدخل الى علم اجتماع الأدب : د. سعدي صناوي : ٢٠٠

١٧- ديوانه : ٧٤

١٨- ديوانه : ١٨٣

١٩- ينظر : مدخل الى علم اجتماع الأدب : ٢٤٤

٢٠- ينظر : المثال الشعري في النقد العربي القديم ، جابر خضير جبر ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٦م : ٥٣ ، ٥٥

٢١- ينظر : النقد الثقافي : عبد الله الغذّامي : ١٤٥

٢٢- ديوانه : ١٣٠ ، الكؤود : الثبات والقوة ، حضن : المنعة .

٢٣- الأغاني : ١٠٠/٣

٢٤- المفضليات : ٦٢

٢٥- شرح ديوانه : ٢٠١

٢٦- ديوانه : ٤٢

٢٧- أمية بن أبي الصلت /حياته وشعره : ٢٤٣ ، الغيابات : ما انخفض من الأرض ، منتواك : نيتك .

٢٨- بلوغ الإرب : الآلوسي : ١٦١/٢

٢٩- ديوانه : ١٤٨

٣٠- ديوانه : ١٠٠

٣١- ديوانه : ٣٨ ، العقيق : مكان ، شخصان : أكمة لها شعبتان .

٣٢- ديوانه : ٢٧١

٣٣- شرح ديوان الحماسة : المرزوقي : ١١١٥/٢

٣٤- المفضليات : ٢٤٠ ، الكودن : البرذون البطيء السير : الأصحم : الأسود .

٣٥- ينظر : مدخل الى علم اجتماع الأدب : ٣٢٥

٣٦- ديوانه : ١٤٧

٣٧- المفضليات : ١٢٦ ، العرنين : الأنف ، والمراد به هنا أول الليل .

٣٨- الحيوان : الجاحظ : ٣٧٩/١ ، وينظر : أمالي القالي : ٢١٠/١

٣٩- ينظر : مدخل الى علم اجتماع الأدب : ٣٢٥

٤٠- شرح ديوانه : ٥١ ، الريح النكباء : التي تأتي من كل جانب .

٤١- ديوانه : ٣٠٣

٤٢- ديوانه : ١٤٧

٤٣- شرح ديوان الحماسة : المرزوقي : ١١٥١/٢ ، الكوماء : الناقة العظيمة السنام .

٤٤- ينظر : مدخل الى علم اجتماع الأدب : ٣٢٥

٤٥- ديوانه : ٥٢

٤٦- المفضليات : ١٢٦

٤٧- ديوانه : ٥٤ ، السهب : موضع هلك فيه رجل منهم حسن الخلق كريم الطبيعة .

٤٨- المفضليات : ٣٢٦

٤٩- ديوانه : ٣٠٣

٥٠- المفضليات : ١٢٦

٥١- ديوانه : ١٢٣

٥٢- ديوانه : ١٥٩ ، الأزبة : الأزمة

٥٣- ديوانه : ١٤٨

٥٤- ديوانه : ١١٣ ، الجزر : الناقة

٥٥- ديوان الهذليين : ٢١/٢ ، العلاط : يقال : علطه بشرّ أي ترك عليه مثل علاط البعير ، وعلاط البعير : الوسم فيه ، المشمعة : المزاح واللعب والمضاحكة .

٥٦- ديوانه : ٣٠٩

٥٧- الأشباه والنظائر : الخالديان : ٦٦/١

٥٨- ديوانه : ١٦٧ ، أعضاد المطي : جوانبه ، المخدّم : الذي وضعت الخدمة في رسغه ، وهي سير غليظ محكم مثل الحلقة ، الأحاليب : جمع إحلابة ، وهي ما يجمع من الحليب حين تكون الإبل في المرعى ، اللديد : اسم موضع ، المعمّم : الأبيض ، أو الذي علاه الزبد .

٥٩- ينظر : الجود والبخل في الشعر الجاهلي : د. محمد فؤاد نعناع : ١٥٨

٦٠- ينظر : التعازي والمراثي : المبرد : ٦٦

٦١- ديوانه : ٦١ ، الكسع : أن يضع على ضرعها الماء البارد ليرتفع اللبن فتسمن الإبل ، الشول : بقية اللبن في الضرع ، الأغبار : جمع الغبر والغبر من الشيء بقيته ، ولعلّ الأغبار جمع الغبرة أو الغبار ، نتج الشيء من الشيء : خرج منه ونتجت البهيمة ولداً : ولدته ، الوالج : الذي يلج في ظهورها من اللبن المكسوع .

٦٢- ديوانه : ١٨٧ ، الصناعية : الحذّاق بتربية النياق وتسمينها ، العتومة : الناقة الغزيرة اللبن .

٦٣- ديوانه : ٥٤

٦٤- شرح ديوانه : ٥٢ ، البرك : الإبل المستنيخة ، الهواجد : النيام ، النيّ : الشحم

٦٥- المفضليات : ١٢٦ ، المقاحيد : الإبل العظيمة الأسنمة ، المجادل : القصور واحدها مِجدل ، الروق : الخيار ، الأدماء : البيضاء ، مرباع النتاج : التي يكون نتاجها في أول الربيع ، العشار : جمع عشراء وهي الناقة التي مضى عليها من لقحها عشرة أشهر ، الفنيق : الفحل .

٦٦- ديوانه : ٣٠٣ ، الهجان : البيض

٦٧- البخلاء : الجاحظ : ٢٣٠

٦٨- ينظر الشعر والمال : د. مبروك المنّاعي : ٣٠٧

٦٩- ديوانه : ١١٧ ، أعوص به : أركب به الأمر العويص أي الصعب غير الواضح ، القلل : جمع قلّة وهي السنام .

٧٠- شرح ديوانه : ٣٧١

٧١- ديوانه : ١٠٩ ، مباشيم : لؤماء ، العوارض : الإبل التي تنحر من علّة ، كسّاحون : يقال : كسحت الريح الأرض : قشرت عنها التراب ، والمراد هنا أنهم لا يسقون حتى ينتهي الناس من السقي ، فيكونون آخرهم ، والصورة هنا كنائية ، وقد يكون من الكسح وهو علّة في الخلقة ، فيكون المعنى أنهم يضعفون عن السقي أول الناس فيبقون حتى يسقي الناس فيكونون آخرهم .

٧٢- شرح ديوان الحماسة : المرزوقي : ١٢٠٦/٢

٧٣- ديوانه : ١٠٨ ، وينظر : قصائد جاهلية نادرة : د. يحيى الجبوري : ٨٣

٧٤- أمالي المرتضى : ١٢٤/٢

المصادر والمراجع .....

- أساس البلاغة ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تح : محمد باسل عيون السود ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م .
- الأشباه والنظائر في أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين ، الخالديان ، تح : السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٨م .
- الأغاني ، أبو فرج الأصفهاني ، ط٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢م .
- الأمالي ، أبو علي القالي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٦م .
- أمالي السيد المرتضى ، أبو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين ، تصحيح وضبط وتعليق : محمد بدر النعساني الحلبي ، ط١ ، مطبعة الخانجي ، مصر ، ١٩٠٧م .
- أميَّة بن أبي الصلت/حياته وشعره ، دراسة وتحقيق : د. بهجة عبد الغفور الحديثي ، ط٢ ، دار الشؤون الثقافية العامّة ، بغداد ، ١٩٩١م .
- البخلاء : الجاحظ ، تح : طه الحاجري ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة .
- بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكري الآلوسي ، شرح وضبط وتقديم ، محمد بهجة الأثري ، ط٢ .
- التعازي والمراثي ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م .
- الجود والبخل في الشعر الجاهلي ، د. محمد فؤاد نعناع ، ط١ ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٤م .
- الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٥م .
- ديوان الأعشى ، شرح وضبط وتقديم ، د. عمر فاروق الطبّاع ، دار القلم ، بيروت .
- ديوان الحارث بن حلزة ، إعداد وتقديم ، طلال حرب ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٦م .
- ديوان المتلمّس الضبعي ، تح : محمد التونجي ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨م .
- ديوان المثقب العبدي ، تح : د. حسن حمد ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٦م .
- ديوان الهذليين ، ط٤ ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠١٢م .
- ديوان امرئ القيس ، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة .

- ديوان أوس بن حجر ، تح : د. محمد يوسف نجم ، ط٣ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩م .
- ديوان زهير بن جناب الكلبي ، صنعة : د. محمد شفيق البيطار ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٩م .
- ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره ، تح : عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، مصر .
- ديوان طرفة بن العبد ، تح : دريّة الخطيب ولطفي الصقّال ، ط٢ ، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت ، ٢٠٠٠م .
- ديوان طفيل الغنوي ، تح : حسّان فلاح أوغلي ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٧م .
- ديوان عامر بن الطفيل العامري ، تح : د. محمود عبد الله الجادر ود. عبد الرزاق خليفة محمود الدليمي ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠١م .
- ديوان عدي بن زيد العبادي ، تح : محمد جبار المعيبد ، دار الجمهورية للنشر والطبع ، بغداد ، ١٩٦٥ .
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، شرح وضبط وتقديم : د. عمر فاروق الطبّاع ، ط١ ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ١٩٩٧م .
- شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري ، ضبط وتقديم : عبد الرحمن البرقوقي ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٩٢٩م .
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، تقديم : حنا نصر الحتّي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤م .
- الشعر والمال/ بحث في آليات الابداع الشعري عند العرب من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث الهجري ، د. مبروك المنّاعي ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨م .
- الصحّاح / تاج اللغة وصحّاح العربية ، اسماعيل بن حمّاد الجوهري ، تح : أحمد عبد الغفور عطّار ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م .
- قصائد جاهلية نادرة ، د. يحيى الجبوري ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- لسان العرب ، ابن منظور ، تح : نخبة من الأساتذة ، دار المعارف ، القاهرة .
- المثال الشعري في النقد العربي القديم ، جابر خضير جبر ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٦م .
- مختار الصحّاح ، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٩م .
- مدخل الى علم اجتماع الأدب ، د. سعدي صناوي ، ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٩٤م .

- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية ، د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢م .
- معجم المصطلحات النفسية والتربوية ، د. محمد مصطفى زيدان ، ط١ ، دار الشروق ، جدة ، ١٩٧٩م .
- معجم علم النفس والتحليل النفسي ، مجموعة باحثين ، إشراف ومراجعة : د. فرج عبد القادر طه ، ط١ ، دار النهضة العربية ، بيروت .
- مفاتيح اصطلاحية جديدة /معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة : سعيد الغانمي ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٠م .
- المفضليات ، تح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، ط٦ ، دار المعارف ، القاهرة .
- موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علي التهانوي ، تح : د. علي دحروج ، ط١ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٩م .
- النقد الثقافي/ قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبد الله الغذّامي ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ٢٠٠١م .

ملخّص البحث :

قام الباحث بدراسة موضوع (معايير السلوك لقيمة الكرم في مشاهد الضيافة العربية /دراسة في الشعر الجاهلي) ، إذ بحث فيه ثمانية محاور، تناول في المحور الأول دلالة مصطلح معايير السلوك في اللغة والاصطلاح ، كما بيّن دلالته في منظور البحث ، وأوضح صلته بالقيم والرموز، وخصّص المحور الثاني لتسليط الضوء على قيمة الكرم وأهميتها في حياة الانسان الجاهلي ، وتناول في المحور الثالث المشهد الأول من مشاهد الضيافة العربية مستخلصاً منه أهم المعايير للسلوك المحمود عند العرب ، كما خصّص المحور الرابع لاستخلاص معايير السلوك في مشهد قدوم الضيف وطريقته في التماس الضيافة ، وتناول الباحث في المحور الخامس معايير السلوك في مشهد استقبال الضيف ، كما تناول في المحور السادس معايير السلوك في مشهد استراحة الضيف واستقراره في بيت المضيف ، وخصّص المحور السابع لاستخلاص معايير السلوك في مشهد النحر ، وأخيراً تناول الباحث في المحور الثامن معايير السلوك في مشهد مبيت الضيف .

Research Summary :

The researcher studied the subject of (standards of behavior in the scenes of Arab hospitality / study in poetry Al-Jahli), where he discussed eight axes, dealt in the first axis the term of the standards of behavior in language and terminology, as indicated in the perspective of research, and explained the relevance of values and symbols, and allocated The second axis to highlight the value of generosity and its importance in the life of pre-Islamic man, and dealt in the third axis the first scene of the scenes of Arab hospitality derived from the most important standards of behavior In the Arabs, and the fourth axis to draw the standards of behavior in the scene of the arrival of the guest and his way to seek hospitality, and addressed the researcher in the fifth axis standards of conduct in the reception of the guest, The sixth axis dealt with the standards of behavior in the scene of the guest's rest and stability in the house of the host. The seventh axis was devoted to drawing the standards of behavior in the scene of sacrifice. Finally, the researcher in the eighth axis dealt with the standards of behavior in the guest bed scene.